العدد السابع والعشرون
1434 هـ / 2013 م

مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكّمة - تصدر سنويًا

1434 هجرية 2013 ميلادية

- من أسس بناء الشخصية الإنسانية من منظور تربوي إسلامي.
- المجاهد أحمد الشريف السنوسي ودوره في حركة الجهاد الليبي.
- بعض معالم الثقافة المقاصدية للإمام عبد الملك الجويني.
- نصوص للمستشرقين أنصفوا فيها الإسلام.

ظاهرة التخفيف في لغة العرب

د. سالم علي شليبك

لعل اللغة العربية هي من أكثر اللغات التي برزت فيها ظاهرة التخفيف، تخلصها من الثقل، وجرياً على ما تقتضيه بعض الأساليب من التغيير: كالحذف، والتسكين، والإعلال، والإبدال، والإدغام، والنقل، وغير ذلك من أنواع التصرف الذي تميز به الأسلوب العربي في أرقى صوره، وأحسن مراميه، وستتضح ظاهرة التخفيف هذه بدراسة نماذج منه في مواضع مختلفة، ليقف القارئ على سر هذا التغيير الذي هو من أهم خصائص الكلام العربي الفصيح.

بعض مظاهر التخفيف:

1- من مظاهر التخفيف في النطق التسكين، ويقابله التحريك، وكلاهما مرتبط بالشكل ولا يعتد بهما إلا إذا كانا في آخر حرف من الكلمة الذي هو موضع الإعراب والبناء.

والتسكين قد يجيء في حرف صحيح، وأكثر ما يكون في عين الكلمة اسماً أو فعلاً لقصد التخفيف ومنه تسكين العين في نحو: فخذ، وكتف، وعضد، وفي نحو: شهِد، وعَلِم من الأفعال فيقال: فخْذ، وكتْف، وعضْد، وشهْد، وعلْم إلخ، وإنما جاز تسكين العين هنا كراهة الانتقال من الأخف وهو الفتح إلى الأثقل وهو الكسر في الكلمة المبنية على الخفة وهو الثلاثي المجرد[1].

وقد يقع التسكين في حرف العلة، وذلك كثير كتسكين عين الفعل الأجوف الماضي نحو: قال وباع، وفي المضارع منه نحو: يقوم ويهيم، وتسكين العين

(1) شرح الشافية للرضي، 1: 42.

من اسم المفعول نحو: مقول، مبيع، والأصل قَوَلَ وبَيَعَ، ويَقْوُمُ ويَهْيِمُ، ومقُوول ومَبْيُوع، وهذا التغيير في الكلمات المتقدمة سواء كان بالقلب، أو بنقل الحركة من عين الكلمة إلى الساكن الصحيح قبلها قد أكسبها خفة لم تكن قبل ذلك.

والأول إعلال بالقلب، والثاني إعلال بالنقل حسب المصطلح الصرفي، وقد يجتمع الإعلالان في كلمة واحدة كما في المصدر من الفعل الرباعي المعتل العين نحو: إقامة، وإبانة، والأصل: إقوام، وإبيان، فنقلت حركة العين إلى الفاء، ثم قلبت الواو والياء ألفا، فالتقى ساكنان: العين وألف الإفعال، واختلف في المحذوف منهما، فسيبويه ومن معه يحذفون ألف المصدر، لأنها زائدة ولقربها من الطرف، والأخفش يحذف الساكن الأول: العين، تطبيقاً للقاعدة الصرفية عند التقاء الساكنين والأول حرف علة، فهو أحق بالحذف، ولكلٍّ حجةٌ وتعليلٌ.

ويقع التسكين أيضاً في معتل اللام من الأسماء والأفعال، فالأسماء المنقوصة وهي المعتلة بالياء نحو: الهادي، والداعي، يقال في إعرابها مرفوعة ومجرورة مثل: جاء القاضي، ومررت بالهادي، فالأول مرفوع بضمة مقدرة، والثاني مجرور بكسرة مقدرة: لثقل الحركة فيهما على الياء، وبهذا التقدير سكنت الياء وواضح أن القاضي، والهادي بالسكون أخف من القاضي. وظهرت الفتحة في النصب على الياء لخفتها، مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾[1].

أما الاسم المقصور وهو المنتهى بألف ساكنة مثل: عيسى ونجوى فسكونه أصلي، والساكن لا يقبل الحركة، لذا قدرت فيه الحركات الثلاث.

ويشارك الفعلُ المعتلُ اللام الاسمَ في تقدير الحركة في موضعي: الثقل والتعذر، فالأول مثل: يدعو ويرمي، والثاني نحو: يسعى ويخشى، فالتسكين في المواضع المتقدمة كلها مظهر من مظاهر التخفيف سواء كان سكونا حياً، أو سكوناً ميتاً، كما مر بيانه فيما تقدم من المثل.

(1) الأحقاف: 30.

ومن مظاهر التخفيف الإعلال[1].

الإعلال سمة من سمات التخفيف سواء كان بالقلب أو غيره، وقد جاء في تعريفه: "أنه تغيير حرف العلة بالقلب أو الإسكان، أو الحذف للتخفيف"[2]. وبناء على هذا التعريف فإن الإعلال ثلاثة أنواع: إعلال بالإسكان، وإعلال بالقلب، وإعلال بالحذف، ولا يخرج الإعلال عن واحد من هذه الثلاثة، وأحرفه: الواو، والألف والياء.

والإعلال منه المقيس المطرد، وذلك عند توفر شروطه، مثل قلب الواو والياء ألفاً إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما نحو: قال وباع، وغزا ورمى، ومنه الشاذ: وهو الفاقد للشرط، كقلب الياء همزة في مصائب ومعائش: جمعي مصيبة ومعيشة[3]. لأصالة الياء فيهما، وللوقوف على الأثر الذي يحدثه الإعلال في الكلمة العربية أذكر بعض صوره هنا من أنواعه الثلاثة: القلب، التسكين، الحذف.

أولاً – الإعلال بالقلب[4]:

يتحقق هذا النوع من الإعلال في مسألتين: الأولى قلب حرف العلة حرفاً من جنسه كقلب الواو والياء ألفاً إذا توفر شرط القلب فيهما.

والثانية قلب الواو والياء همزة في مواضع، وتشاركهما الألف في نحو: رسائل ووسائد، وكل ذلك ينضوي تحت قاعدة صرفية لا يشذ عنها إلا في بعض الكلمات القليلة التي ليس لها تأثير فيما وضع من القواعد الضابطة في مجال علم الصرف.

وقد تقدمت الإشارة إلى أن الألف في نحو: قال وباع، وغزا ورمى منقلبة عن الواو والياء وواضح أن صام، وهام أخف من صَوَمَ وهَيِمَ، ومثلُ ذلك يقال في غزا ورمى. فتأثير القلب في هذه الكلمات ونحوها من سمات الأسلوب العربي الفصيح، وهو قلب لازم لا مندوحة عنه، ولا مفر منه.

---

(1) المقتضب، 1: 95. ابن عقيل 2:

(2) شرح الشافية للرضي، 3: 6 وابن عقيل 4:211

(3) وبالهمزة قرأ خارجة بن مصعب هلى تشبههما بياء صحيفة. شواذابن خالويه 42.

(4) الهمع 6: 276، النحو الوافي 4: 757.

وأما قلب الواو والياء همزة وتشاركهما الألف في بعض المواضع فقد جاء في أربع مسائل:

1- أن تقع الواو أو الياء عينا لاسم فاعل فعل أُعِلّت فيه، نحو: حائل وهائم من حال وهام، والأصل حول وهيم فأُعلّتِ الواو والياء في الماضي حال وهام، ثم أعلت الواو والياء تبعاً للفعل لوقوعهما عينا لاسم الفاعل حائل وهائم، وهذا القلب لابد منه طلباً للخفة وهروباً من الثقل الذي ينفر منه البناء العربي، ولا يتقبله بحال.

2- ويقع هذا الإعلال في كل واو أو ياء تلت ألف الجمع الأقصى، وهي في المفرد مدة زائدة مثل: حلوبة وحلائب، وصحيفة وصحائف، ومثل ذلك قلب الألف في نحو: رسالة ورسائل، ولم تقلب الياء في معيشة ومصيبة لأصالة الياء في المفرد، فقيل فيهما معايش، ومصايب. وقالوا: معائش ومصائب، وهو شاذ وقليل لا يعول عليه. وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

3- ونلحظ هذا الإعلال في الواو والياء المتطرفتين إثر ألف زائدة نحو سماء وبناء والأصل سماو وبناي، والقلب فيهما من دواعي التخفيف أيضاً.

4- وختام هذه المسائل التي جاءت فيها الهمزة بدلاً من الواو أو الياء هي أن تقع إحداهما ثاني حرفين لينين بينهما ألف الجمع الأقصى كما في جمع أول ونيف، فيقلب حرف اللين الثاني في الجمع همزة نحو: أوائل، ونيائف، والأصل: أواول ونيايف[1]، وهذا القلب مظهر من مظاهر التخفيف في المسائل كلها، وعدم الأخذ به عيب مذموم وأمر مرفوض مخلٌّ بفصاحة الأسلوب العربي.

ثانياً – الإعلال بالتسكين[2]:

الإعلال بالتسكين، أو النقل: وهو نقل حركة الحرف العليل إلى الساكن الصحيح قبله للتخفيف، إذ الحركة تثقل على الحرف العليل، والحرف الصحيح أولى

(1) ابن عقيل، 2: 525.

(2) ابن عقيل 2: 525. والتصريح 2: 393. والهمع 6: 273.

بحمل الحركة، وأكثر ما يكون هذا الإعلال بنقل حركة عين الكلمة إلى الفاء، ويطرد ذلك في المواضع الآتية:

1- في الفعل المضارع من الأجوف نحو: يقول ويهيم، والأصل يَقْوُل ويهيِم بضم الواو، وكسر الياء، والصورة بعد النقل أخف من الأولى، وهذا واضح يدرك بأدنى تأمل.

2- ومما نقلت فيه حركة العين إلى الساكن الصحيح مصدر الفعل الأجوف على وزن الإفعال، أو الاستفعال نحو: "إقامة واستقامة، وإبانة واستبانة، والأصل: إقوام واستقوام، وابيان واستبيان، فسكنت العين عند نقل حركتها إلى ما قبلها، والتقت مع ألف المصدر ساكنة، فحذفت إحدى الألفين، وعوض عنها التاء في الآخر، وتقدم الخلاف في المحذوف منهما بين سيبويه والأخفش، ووزن إقامة عند سيبويه (إفعلة) وعند الأخفس (إفالة) والناظر في أصل الكلمة، وما دخلها من نقل وحذف يدرك المقصود من هذا التغيير، وما صحبه من تعويض التاء، وقد يستغني عنها بالمضاف إليه كما في قوله تعالى: ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[1].

3- وجاء نقل الحركة للتخفيف في اسم المفعول من الأجوف نحو: مقول ومبيع[2]، والأصل مقوول ومبيوع بضم الواو والياء فيهما، وبعد النقل صارا مقولا ومبيعاً بقلب الضمة في مبيع كسرة لمناسبة الياء، وبقيت الضمة في مقول؛ لأنها تناسب الواو.

ثالثاً – الإعلال بالحذف[3]:

تدور مسائل الإعلال مع أحرف العلة: قلباً وتسكيناً وحذفاً، وتشاركها في ذلك الهمزة في بعض المواضع، وما خرج عن ذلك فلا يعد من باب الإعلال. والإعلال بالحذف منه ما هو مقيس مطرد، ومنه ما هو شاذ نادر الورود في لسان

(1) النور، 36.
(2) ابن عقيل 2: 528. النحو الوافي 4: 794.
(3) التصريح 12:595. النحو الوافي 4: 800.

العرب، والأول ما كان لعلة صرفية، والثاني الحذف الاعتباطي، وهو حذف لا ينضبط تحت قاعدة الحذف الصرفية، وليس لوجوده سبب إلا التخفيف، وقبل إيراد نماذج للإعلال بالحذف أوضح الفرق بين الحذف والإضمار؛ فالمبتدئون من الطلاب لا يفرقون بينهما، ويظنون أن الحذف والإضمار شيء واحد. وحقيقة أمرهما أنهما مختلفان اختلافاً كلياً، فالمحذوف معدوم والمضمر موجود، ويوضح الفرق بينهما أمر الفاعل في نحو: قم وطالما، فقم فعل أمر وفاعله مضمر تقديره أنت، وطالما فعل ماض مكفوف بما فاعله محذوف. ولهذا اعتبرت (قم) جملة من فعل ظاهر، وفاعل مضمر، وطالما فعل وحرف ولا فاعل هنا.

نماذج من الحذف المقيس:

أشرت فيما سبق إلى أن الحذف المقيس هو الذي ينضبط تحت قاعدة صرفية، ومن هذه القواعد حذف فاء المثال الواوي المكسور العين[1]، من المضارع نحو: وعد يعد، ووزن يزن، ووصل يصل، الخ، ووزن المضارع بعد التخفيف يعل، وأصل يعد، ويزن: يوعد ويوزن، فالواو هنا لا تطيق البقاء في هذا الموضع لوجودها بين ياء وكسرة، ويعبر المبتدئون عن ذلك بوقوعها بين (عدوتيها) الياء والكسرة، وهو سبب الثقل في الكلمة وبحذف الواو خفت الكلمة، وصارت قاعدة لحذف الواو إذا وقعت هذا الموقع، ولم يقف الحذف عند المضارع، وإنما سحبوا ذلك على فعل الأمر والمصدر من هذا الفعل، فقالوا: زن، وعد وزنة، وعدة، مع أن الواو فيهما لم تقع بين الياء والكسرة، وهذا بالحمل لهما على المضارع الذي توفر فيه شرط الحذف، والداعي لهذا الحمل إنما هو طلب التخفيف لا غير.

أما المثال اليائي، والواوي المفتوح العين فلا حذف فيهما، لخفة الياء في الأول والفتحة في الثاني، نحو يبس ييبس، وفي القرآن الكريم: ﴿ قَالُوا لَا نَوْجَلْ ﴾[2].

(1) الأصول 3: 276. والممتع 2: 426.
(2) الحجر: 53.

ومن الحذف ما يكون عند التقاء الساكنين، والأول حرف علة، أو يحرك بالكسر إذا كان حرفاً صحيحاً، وهو الأصل، لأنه أقل إخلالاً باللفظ، فلا يعدل عنه إلا إذا تعذر بوجه.

ومما حذف فيه حرف العلة للساكنين قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2]. وقوله جل شأنه: ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[3]. وهو حذف في النطق لا في الخط، لأن التخفيف الذي يصار إليه من سمات النطق لا الخط.

هذه مسائل من الإعلال سقتها على سبيل المثال لا الحصر، لأن مواضع الإعلال في لسان العرب كثيرة لا تتسع مثل هذه الصفحات لاستقصائها، وذكر المزيد منها.

الإبدال[4]:

الإبدال في اللغة العربية نوع آخر من أنواع التخفيف تجلت مظاهره في كثير من الألفاظ، وهو باب اهتم الصرفيون بدراسته وبيّنوه بياناً شافياً، وإنما أردت بإثبات نماذج منه هنا بيان الأثر الذي يضفيه هذا النوع من التغيير، ووصولا إلى الهدف من دراسة موضوع الإبدال في المجال اللغوي.

وحقيقة الإبدال: هو وضع حرف مكان آخر مطلقاً"[5]. وجاء التقييد بـ(مطلقاً) لإخراج الإعلال بالقلب لاقتصاره على أحرف العلة، فكل إعلال إبدال، ولا عكس، لتحققهما في نحو: باع ودعا، وانفراد الإبدال في نحو: اضطرب، واتعد. والداعي إلى الإبدال هو الفرار من الثقل الناشيء عن اتصال حرف بآخر لا ينسجم معه في النطق، وأنت ترى الفرق واضحاً بين اللفظين: اتعد، واوتعد،

(1) إبراهيم، 10.
(2) الإسراء، 53.
(3) التحريم، 10.
(4) المقتضب 1: 61. والأصول 3: 246. والممتع 2: 319.
(5) شرح الشافية للرضي 1: 197 والتصريح 2: 366.

واتصل، واوتصل، فالتغيير الذي كان بإبدال الواو تاء أوجد نوعاً من التوافق بين الحرفين: البدل والمبدل منه، وقد كان ذلك باتحاد الحرفين، وإدغام الأول في الثاني، وبذلك خفت الكلمة في النطق، وهذا العمل مطلوب ولازم في جميع مواضع الإبدال الذي ينقسم إلى كثير شائع الاستعمال، وإلى قليل وشاذ أحياناً.

ولتوضيح ظاهرة الإبدال هذه أذكر هنا مسائل منه، وهي كثيرة متنوعة:

أولاً – الإبدال المقيس[1]: وله أحرف جمعت في قولهم: (هدأت موطيا) وفي هذا النوع من الإبدال تتجلى ظاهرة التخفيف بكل وضوح، وهو من سمات الحسن والجمال في الكلام العربي الذي يرفض الركاكة والثقل في أية صورة من صوره المختلفة.

1- ومن أوضح أنواع هذا الإبدال قلب الواو والياء والألف همزة في نحو: قائل وبناء ورسائل، والفرق بيّن بين الأصل والفرع في الكلمات المذكورة ونحوها فقائل وبناء ورسائل أخف من قاول وبناي، وبذلك صار إبدال هذه الأحرف في مثل هذه المواضع أمراً لازما لا عدول عنه.

2- ومن مسائل الإبدال المقيس إبدال التاء من الواو الواقعة فاء الافتعال وما تصرف منه، ففي الألفاظ: متعد الاتعاد، اتعد، اتعد الخ قلبت الواو تاء لتخف الكلمة بهذا التغيير، وبالمقارنة بين الأصل والصورة الطارئة: اوتعاد، اتعاد، اوتصل، اتصل، موتعد: متعد ندرك أثر الإبدال في التخلص من الثقل.

3- ومن هذا النوع إبدال التاء دالاً بعد الدال الواقعة فاء الافتعال نحو ادكر وابدالها طاء بعد الصاد نحو: اصطبر، وإبدالها دالاً بعد الزاي نحو: ازدرع، وغير ذلك من الألفاظ التي تمثل الإبدال الشائع المقيس، وهو كثير في الاستعمال اللغوي.

(1) المقتضب 1: 61 والأصول 3: 246.

ثانياً – الإبدال الشائع[1]:

جاء الإبدال الشائع في كثير من الألفاظ أخذت بالسماع عن العرب للتخفيف وهي إن لم تدخل تحت قاعدة الإبدال المقيس فقد عدت من الإبدال، ولا ضير في استخدامها في النطق والتعويل عليها وإدخالها تحت ظاهرة الإبدال، فمن ذلك إبدال التاء من الواو في كلمات كثيرة، نحو: تجاه، وتراث، وتقية، وتقوى، وتولج، وتخمة، وتكأة، وتكلان، وتترى، وتليد، وتلاد وبنت، وأخت، وكلتا، ومن واو القسم نحو: تالله، ومن السين في (ست)، وأصله: (سدس) وفي الناس، وأكياس: جمع كيس فقالوا: النات، وأكيات، وأبدلت الهمزة من الواو فقالوا: إسادة، وإيشاح في: وسادة ووشاح، وهذا النوع من الإبدال يوقف فيه على السماع، ولا يصح القياس عليه. وكل ذلك بهدف التخفيف، وطرح الثقل الذي يعد عيباً من العيوب.

ثالثاً – الإبدال الشاذ، وهو الإبدال الذي لا يخضع لقاعدة صرفية، ولذلك قل وجوده في لغة الضاد، ومن هذا النوع إبدال الياء المشددة جيما كما في قول الشاعر[2]:

.....خالي عويف وأبو علج .....المطعمان اللحم بالعشج

أراد (علي وبالعشي) فالجيم في الموضعين مبدلة من الياء.

ومن هذا النوع أيضاً إبدال الهمزة من العين في قولهم: (أباب البحر) والأصل عباب البحر، وإبدالها من الألف إذا كان بعدها ساكن، قرأ بعضهم: ﴿ولا الضألين﴾[3] والأصل: (الضآلين) وقوله تعالى: ﴿لا يسأل عن ذنبه إنس ولا

(1) الممتع 1: 383 وشرح الشافية 3: 205.
(2) الكتاب 4: 184 والمنصف 2: 178.
(3) هي قراءة أبي أيوب السختياني، شواذ ابن خالويه ص 1.

جأن﴾[1]، والقراءة الفصيحة: (ولا جآنٌّ) وما روى من أن العجاج كان يهمز (العالم، والخاتم) وعلى هذه اللغة جاء قول الشاعر[2]: (رجز)

..يا دار سلمى اسلمي ثم اسلمي فخندف هامة هـــذا العألم

وبهذا ينتهي مبحث الإبدال بأنواعه الثلاثة: المقيس، والجائز، والشاذ.

الإدغام[3]:

هذه هي المسألة الأخيرة فيما اخترته لدراسة ظاهرة التخفيف، وسأتوقف فيها بعض الوقت لاقتطف من ثمارها زادا يبلغني المراد من تناولي لهذا النوع من أنواع التغيير الذي يحفل به الأسلوب العربي ولا ينفك عنه بحال من الأحوال

وحقيقة الإدغام في اللغة هو (الإدخال). ولا يبعد معناه الاصطلاحي عن هذا، فإدخال الحرف الأول في الثاني بعد تسكينه هو الإدغام عينه، ولكن بشرط أن يقع التجانس بين الحرفين المدغمين بالأصالة أو بطريق الإبدال، فالأول وهو الكثير في الاستعمال نحو: ردّ وحلّ، وفكّ، والثاني نحو قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا ﴾[4]، ونحو قوله جل شأنه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ ﴾[5]، والأصل تداركوا فيها، بالتاء فأبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال، والأصل في ازّيّنت: تزيّنت بالتاء أيضاً فأبدلت زاياً وأدغمت في الزاي، فالإدغام في الكلمتين كان بطريقة الإبدال.

وإدغام العين في اللام عند التجانس كما في المثل المتقدمة هو لازم إلا في بعض الألفاظ التي ستأتي، وذلك هروباً من ثقل الفك، وطلباً للتخفيف الذي أسست قاعدة الإدغام عليه، ومن السهل أن تدرك التخفيف بين قولك: شدّ وشدد، وحلّ وحلل، وفرّ وفرر، وهكذا. وإذا وقع الإدغام في المصدر وقع في جميع

(1) قرأ بذلك عمرو بن عبيد، السابق، ص 15.
(2) البيت في سر الصناعة، 101 والممتع 1: 324.
(3) انظر موضوع الإدغام في الارتشاف 1: 337 وابن عقيل 1: 538 والتصريح 2: 399.
(4) الأعراف، 36.
(5) يونس، 24.

ما تفرع عنه، مثال المصدر قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1]، والفعل الماضي: ﴿وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾[2].

والفعل المضارع: ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3]، وفعل الأمر كقول الشاعر[4] (الوافر):

.فظن بسائر الإخوان شراً...ولا تأمن على سرٍّ فؤادا

ومثل ذلك اسم الفاعل، نحو: حالٍّ، وفارٍّ الخ وإذا وقع الفصل بين المثلين امتنع الإدغام، وهذا واقع في اسم المفعول نحو: مظنون، ومحلول، ومفكوك، لأن الواو فصلت بين الحرفين المتماثلين، فامتنع الإدغام.

ويستثنى من قاعدة الإدغام هذه بعض الألفاظ قدم فيها الفك على الإدغام، لأنها عرت عن الثقل وتوفر فيها الغرض المطلوب بالإدغام وهو التخفيف، وهذه الألفاظ هي:

1- أن يقع المثلان في أول الكلمة نحو: (ددن) و (ببر)[5]، بالفكّ فيهما، لأن المثلين تصدرا، فلو أدغمت الفاء في العين لسكن أول الكلمة، وهم لا يبتدئون بالساكن.

2- وألا يكونا في وزن ملحق، أي المثلان، نحو: (قردد) للمكان الغليظ المرتفع و(مهدد) اسم لامرأة، فالدال الأخيرة فيهما مزيدة للإلحاق بجعفر، فإن إدغام الأول في الثاني يؤدي إلى ذهاب مثال الملحق به.

3- ألا يكون الاسم على وزن (فعل) بفتحتين (كطلل)، و(مدد)، أو على فُعل بضمتين نحو: (ذُلُل) و (جُدُد) أو على فِعَل بكسر الفاء وفتح العين نحو

(1) الحجرات، 12.
(2) التوبة، 118.
(3) الإسراء، 52.
(4) لم أقف على قائل البيت، وهو من الوافر.
(5) الددن: اللهو واللعب، والببر: حيوان يشبه النمر، ابن عقيل 2: 538 والتصريح 2: 39.

(لِمَم) و(كِلَل)، أو على وزن فُعَل بضم الفاء وفتح العين نحو: (دُرَر) و(جُدَد)[1].

وقالوا (ألَلَ السقاء) إذا تغيّرت رائحته، و(لحِحَت عينُهُ) إذا التصقت أجفانها من وجع أو رمص، وجاء الفك في هذين اللفظين مع اتصال المثلين فيهما فعد شاذاً يحفظ ولا يقاس عليه[2].

وقد يلتقي المثلان في كلمة ويتعذر الإدغام بسبب مانع: كأن يتصل الفعل المدغم عينه في لامه بضمير رفع متحرك نحو: حللت بالمكان، وفككنا الأسير، فاتصال الفعل بضمير الرفع منع من إدغام أول المثلين في الثاني.

ويجوز الفك والإدغام إذا دخل عليه جازم كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾[3]، وقوله جل شأنه: ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾[4]، وقوله تقدست أسماؤه: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[5]، والفكّ لغة الحجازيين، وقرئ بالإدغام: ﴿ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ ﴾[6]، وهي لغة بني تميم[7]. ومما جاء بالفك فعل التعجب على وزن (أفعل) نحو: أحبب يزيدٍ، وأشدد ببياض ثيابه.

ومما لزم فيه الإدغام (هلم) وهو اسم فعل أمر عند الحجازيين. وهو فعلُ أمر عند بني تميم.

وجاء إدغام النون الساكنة في خمسة أحرف بعد إبدالها حرفاً مجانساً لما بعدها، والأحرف هي: اللام، والراء، والياء، والواو والميم. تقول: من لدنه، ومن

(1) الارتشاف 1: 340 والتصريح 2: 399، وجدد: بضمتين جمع جديد، وجُدد: بالضم والفتح جمع جدة بضم الجيم وتشديد الدال وهي الطريق في الجبل.
(2) ابن عقيل 2: 539.
(3) البقرة، 217.
(4) طه، 81.
(5) الأنفال، 13.
(6) الحشر، 4.
(7) ابن عقيل 2: 542 والتصريح 2: 401.

ربك، ومن يشاء، ومن وال، ومم تخاف؟ وهذا الإدغام في النطق لا في الخط، وكل ذلك من دواعي التخفيف والفرار من الثقل.

الإدغام الجائز[1]:

هذا نوع آخر من الإدغام وهو الجائز، بمعنى: أن الخيار ثابت في إجراء الإدغام وعدمه، فالفعلان: (حيي) و(عيي) يجوز فيهما إدغام الياء في الياء، ويجوز الفك، فعلى الأول تقول (حي) و(عي) بياء مشددة وعلى الثاني نقول: (حيي) و(عيي) بياءين، وشرط ذلك أن يكون المثلان فيه ياءين يلزم تحريكهما، أما إذا كانت حركة المثلين فيه عارضة بسبب العامل فيجب الفك نحو: أن يُحْيِيَ الموتى، وجاز الفك والإدغام وحذف إحدى التاءين في المضارع المبدوء بهما نحو: (تتجلى) وتتعلم بالفك، واتّجلى واتّعلم بالإدغام، ولسكون التاء الأولى للإدغام اجتلبت همزة الوصل. وجاء حذف التاء من المضارع في قوله تعال: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾[2]، وقوله جل شأنه: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾[3]. ويجوز الإدغام أيضاً إذا كان المثلان في كلمتين بأن كان أولهما في آخر كلمة، وثانيهما في أول كلمة أخرى نحو: جعل لك، وذلك بشرطين: أحدهما ألا يكونا همزتين نحو: قرأ آية، فإنّ الإدغام في الهمزتين رديء، والثاني ألا يقع أولهما بعد ساكن نحو: (شهر رمضان) فهذا لا يجوز إدغامه عند جمهور البصريين.

وبعد هذه الوقفات على مسائل الإدغام بنوعيه: القياسي والجائز لم تبق إلا مسألة واحدة أختم بها هذا المبحث، وهي واقعة بين الإعلال والإدغام لاشتمال طرفيها على موجب الإعلال والإدغام، وسنرى كيف قدّم فيها الإدغام على الإعلال، وهو ما سنقف عليه في كلمة (أئمة) وهي جمع إمام، كأحجبة، وألسنة: جمعي حجاب ولسان، وفي (أئمة) همزتان: الأولى مفتوحة والثانية ساكنة، إذ الأصل

(1) ابن عقيل 2: 540 والتصريح 2: 399.
(2) الليل، 14.
(3) القدر، 4.

فيها (أئممة) ومقتضى القياس فيها أن تقلب الهمزة الثانية ألفاً، كما في آمن، وآدم، وآخر، وفي آخر الكلمة مثلان: الميمان، وطبقاً للقاعدة الصرفية هي أن تسكن الميم الأولى وتدغم في الثانية وهو ما حصل في الكلمة. والسؤال هنا لم قدّم الإدغام على الإعلال؟ والجواب عن ذلك: إنما قدم الإدغام لأن المثلين في آخر الكلمة، وأخرُها أثقلُ طرفيها، إذ الكلمة يتدرج ثقلها بتزايد حروفها، ومن اللائق بالحكمة الابتداء بتخفيف الأثقل ولذلك قلبت اللام دون العين في نحو: نوى وطوى للسبب المذكور[1].

ويجوز في (أئمة) أن تخفف الهمزة الثانية بقلبها حرفاً من جنس حركتها، فتقلب ياء، وحينئذ يقال: تحركت الياء وانفتح ما قبلها، فلم لم تقلب ألفاً؟ كما في قال وباع. والجواب: أن الياء لم تقلب ألفاً لأنها فاء الكلمة، والقلب إنما يكون إذا وقعت الواو والياء عينا أو لاما، ولذلك بقيت الواو والياء في (أود) و (أيل).

وبهذه المسألة ينتهي البحث الذي جعلته في الكلام على ظاهرة التخفيف التي هي من أهم خصائص الأسلوب العربي....؟.....

وبالله التوفيق

(1) شرح الشافية للرضي 1: 27 بتصرف.